قسم العلوم الإنسانية جامعة محمد العربي بن مهيدي أم البواقي

السنة الأولى ماستر تاريخ مقيـــاس : التاريخ السياسي للمغرب الإسلامي

المحاضرة الثانية : الفتح الإسلامي لبلاد المغرب: الفتح ، القادة، النتائج

مقدمة:

شكل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حدثاً مفصلياً في تاريخ حوض المتوسط، إذ أخرج المنطقة نهائياً من الدائرة الرومانية/البيزنطية وأدخلها في الدائرة الحضارية الإسلامية. لكن الملاحظة الأبرز التي تستوقف الباحث هي **"العامل الزمني"**؛ فبينما سقطت إمبراطورية فارس في بضع سنوات، وسقطت الشام ومصر في مدد وجيزة، استعصى المغرب لما يقارب **70عاماً** (من حوالي 22هـ/642م إلى 90هـ/709م).

المحور الأول: مرحلة "الاستطلاع والاستكشاف

تغطي هذه المرحلة فترة الخلفاء الراشدين وبداية العهد الأموي (22هـ - 50هـ).

- **سمات المرحلة:**
  - **غياب نية الاستيطان :**كان الهدف الأساسي تأمين الحدود الغربية لمصر، والحصول على الغنائم، دون التوغل في العمق الجبلي.
  - **المركزية المصرية :**كانت الحملات تخرج من الفسطاط وتعود إليها (لم تكن هناك ولاية مستقلة للمغرب).
- **الحدث الأبرز: معركة سبيطلة (27هـ/647م):**
  - **القادة :**عبد الله بن سعد بن أبي السرح (المسلمون) ضد جرجير (Patrice غريغوريوس - الحاكم البيزنطي المستقل).

- **التحليل :**انتصار المسلمين ومقتل جرجير لم يؤدِ إلى سقوط المغرب، بل انتهى بـ "اتفاق مالي" (دفع الجزية مقابل انسحاب المسلمين). هذا يؤكد أن **الهاجس الأمني /المالي** كان يطغى على الهاجس التوسعي/الاستيطاني في هذه المرحلة.

- **معاوية بن حديج :**قاد عدة حملات (34هـ، 40هـ، 45هـ) لكنها ظلت في إطار "السرايا" التي لا تترك أثراً عمرانياً ثابتاً.

المحور الثاني: مرحلة التأسيس والتحول الاستراتيجي (عقبة وأبو المهاجر)

هذه هي المرحلة الأخطر والأكثر تعقيداً، حيث برز تياران متناقضان داخل القيادة العربية حول كيفية التعامل مع السكان الأصليين (البربر).

أ. عقبة بن نافع (الولاية الأولى 50-55هـ) وتأسيس القيروان

- التحول الجذري :قرر عقبة الانتقال من الغزو المتحرك إلى التمركز الثابت.
- تأسيس القيروان (50هـ):
  - الموقع :اختار موقعاً داخلياً ("في طرف البر"، بعيداً عن البحر) لتجنب الأسطول البيزنطي، وبعيداً عن الجبال الوعرة لتجنب مباغتة البربر.
  - الوظيفة :قاعدة عسكرية، مركز دعوي، ومأمن للجيوش (تحويل المغرب من دار حرب إلى دار إسلام).

ب. أبو المهاجر دينار (55-62هـ) وسياسة "القوة الناعمة"

- الانقلاب في السياسة :عزل معاويةُ بن أبي سفيان عقبةَ وعين أبا المهاجر.
- النهج الجديد :أدرك أبو المهاجر أن فتح المغرب لا يتم بالسيف فقط، بل باستمالة الزعماء المحليين.
- النموذج :تحالفه مع "كسيلة "(زعيم قبيلة أوربة والبرانس). أسلم كسيلة وصار شريكاً في الفتح. هذه كانت أول محاولة جدية لـ "مغربة الفتح."

ج. عودة عقبة والصدام (الولاية الثانية 62-63هـ)

- أعاد عقبة سياسة التشدد وأهان كسيلة (تقييده)، وقام بحملته الطويلة وصولاً للمحيط الأطلسي.
- النقد العسكري :كانت حملة استعراضية (اختراق طولي) دون تأمين خطوط الرجعة، مما أدى إلى كارثة معركة تهودة (63هـ) واستشهاد عقبة، وانهيار الوجود الإسلامي وانسحابهم إلى برقة.

.4المحور الثالث: مرحلة المقاومة الكبرى والحسم (حسان وموسى)

في هذه المرحلة، واجه العرب تحالفاً قوياً بين البقايا البيزنطية والقبائل البربرية (البتر).

أ. ثنائية المقاومة: كسيلة والكاهنة

- **كسيلة (المقاومة السياسية)** :حكم القيروان لسنوات وتحالف مع الروم. موته في معركة "ممش" فتح الباب لمقاومة أشرس.
- الكاهنة (المقاومة القبلية/الاستراتيجية):
  - **زعمية جراوة (الأوراس).**
  - استخدمت سياسة "الأرض المحروقة "(تدمير الحصون والمزارع) ظناً منها أن العرب يطلبون المال والمدن، فإذا خربت انصرفوا.
  - النتيجة العكسية :أدت هذه السياسة إلى نقمة السكان المستقرين عليها، مما سهل مهمة حسان بن النعمان.

ب. حسان بن النعمان "الغساني" (المؤسس الإداري)

يُعتبر الفاتح الحقيقي والمنظم للمغرب (حوالي 74هـ - 85هـ).

1. عسكرياً :قضى على الكاهنة، وأخرج البيزنطيين نهائياً من قرطاجنة.
2. عمرانياً :بنى مدينة تونس وأنشأ فيها دار الصناعة (الترسانة البحرية)، منهياً السيادة البيزنطية على البحر.

3. إدارياً :هو أول من "دوّن الدواوين" (الضرائب، الخراج، الجند) في المغرب، فصارت ولاية منظمة.

ج. موسى بن نصير (مرحلة الإدماج والتوسع)

- أكمل ما بدأه حسان، لكن بذكاء اجتماعي خارق.
- سياسة التجنيد :بدلاً من قتال البربر، قام بتجنيدهم في الجيش الإسلامي (جيش طارق بن زياد كان أغلبه من البربر).
- النتيجة :تحويل طاقة البربر القتالية من "مقاومة العرب" إلى "فتح الأندلس."

نتائج الفتح:

لا يجب اختزال النتائج في دخول الإسلام فقط، بل يجب إبراز التحولات البنيوية:

1. النتيجة الديموغرافية واللغوية :بداية تعريب المنطقة (ببطء شديد بدأ في المدن)، وانتشار الإسلام كعقيدة جامعة بدأت تذيب الفوارق القبلية تدريجياً (وإن ظلت العصبية حاضرة).
2. النتيجة الجيوسياسية :أصبح المغرب مستقلاً إدارياً عن مصر (ولاية قائمة بذاتها)، وتحول الثقل الحضاري من السواحل (النمط الروماني) إلى الداخل (القيروان)، قبل أن يعود توازن الساحل والداخل لاحقاً.
3. النتيجة الاقتصادية :ربط المغرب بالدورة الاقتصادية للمشرق الإسلامي، وتنشيط تجارة الصحراء.

قائمة البيبليوغرافيا المقترحة:

أ. المصادر:(Primary Sources)

1. ابن عبد الحكم *فتوح مصر والمغرب*، (أقدم مصدر وصل إلينا، أساسي جداً لفترة الفتح).
2. البلاذري *فتوح البلدان*.

3. المالكي :*رياض النفوس* (مهم لمعرفة سير علماء إفريقية ودورهم).
4. ابن عذاري المراكشي :*البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* (الجزء الأول). يتميز بتفاصيل دقيقة عن الصراعات القبلية.
5. الرقيق القيرواني :*تاريخ إفريقية والمغرب*.

ب. المراجع الحديثة:(Secondary Studies)

1. حسين مؤنس :*فتح العرب للمغرب*، مكتبة الثقافة الدينية. (المرجع الأهم والأكثر تفصيلاً في هذا الموضوع).
2. سعد زغلول عبد الحميد :*تاريخ المغرب العربي*، منشأة المعارف.
3. محمد الطالبي :*إفريقية والمغالبة*.
4. هشام جعيط :*تأسيس الغرب الإسلامي* .(كتاب مهم جداً للتحليل العميق وبنية المجتمع البربري).
5. عبد الله العروي :*مجمل تاريخ المغرب* (الفصل الخاص بالفتح، يقدم رؤية تركيبية نقدية).